

وائل زعيتر قديس آخر يموت في روما

داود تلحيمي

كان وائل - على حد تعبير مناضلة في عقدها الثامن من أصدقائه - احدى شخصيات روما . الا أن هذا التعبير الكبير لا يفي وائل حقه ، لان وائل لم يكن يطمح لحمل أوصاف كهذه : كان متقشفا حتى الزهد ، تكاد تعرفه من بعيد من لون سترته التي لم تتغير منذ سنوات ، ويكاد لا يجد أحيانا في جيبه ثمن وجبة . وكان متواضعا حتى الانسحاق ، فكانت حياته البوهيمية موضوع تندرته المفضل الذي يخلق حوله جوا من المرح الدائم . وكانه في تعففه هذا ، كان يريد ان يبقى قريبا - حتى في حياته الشخصية - من حياة غالبية شعبه ، الذي كرس في خدمته كل اوقاته ، منذ ان استعاد الشعب مرة اخرى سلاح التمرد . وكانت صداقات وائل متعددة وواسعة : من البرتو مورافيا الى بائع الخضار في حارته وسائقي التوكسي في روما مرورا بمسؤولي ومناضلي مختلف الاحزاب والقوى التقدمية الإيطالية . وأوصل وائل من خلالها صوت شعبه النائر ، بلهجته النابلسية التي دخلها ايقاع ايطالي .

مات وائل كما عاش قديسا (ثوريا) برصاصات الوحيدين الذين يمكن أن يكرهوه ويحقدوا عليه : أعداء شعبه . وكان به وهو يواجه أعزل باسمه في ليلة سوداء أخرى من ليالي « المدينة الابدية » ، قتلة لا يرون فيه الا انعكاس بشاعة جرائمهم المستمرة منذ عشرات السنين والتي يريدون أن يبيدوا كل شاهد عليها ، صورة مخالفة أخرى لصراع الخير والشر .

سنحبس دموعنا يا وائل ، رغم ما يحتشد به قلبنا من حزن وغضب ...

سنحمل ، مظلمة حملت ، ابتسامته التحدي والثقة بعدالة النضال ...

ولن يرهبونا ...

وستستمر يا وائل ،

حتى ترتسم ابتسامات السعادة على وجوه اطفالنا فوق أرض فلسطين الحرة .